مجلة اللسانيات العربية
The Arabic Linguistics Journal
مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية
ISSN: 1658-7421

مجلة اللسانيات العربية، العدد 16، جمادى الآخرة، 1444هـ/يناير، 2023م

الألفاظ المالئة في المحادثة العربية: ما يبدو حشوًا وليس بحشو

عبدالرحمن الفهد

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

توثيق البحث APA Citation:

الفهد، عبد الرحمن. (**2023**). الألفاظ المالئة في المحادثة العربية: ما يبدو حشواً وليس بحشو. *مجلة اللسانيات العربية*، *16*، 128-145.

تاريخ الإرسال:1443/08/26
تاريخ القبول:1444/01/03

Submission Date: 28/03/2022
Acceptance Date: 01/08/2022

الملخص

لم تلتفت الدراسات اللغوية القديمة كثيراً إلى ما يسمى بالألفاظ المالئة (filler words)، وذلك باعتبارها شيئاً من الحشو أو الأدوات التي يؤتى بها لملء الفراغ في الأحاديث، دون وظيفة جوهرية ذات أثر تداولي في المحادثة والتواصل الشفهي. لكن الدراسات الحديثة أعادت الاعتبار لهذه الظاهرة اللغوية، وحاولت إظهار وظيفتها في الحوارات الشفهية. يناقش هذا البحث تلك القضية في عدد من الحوارات العربية، ويكشف الأغراض الإيجابية لتلك المالئات، مثل توظيفها في الإجابات غير المفضلة لأغراض تأدبية، وكذا تدفق الكلام والابتعاد عن إشكالية الصمت. وتستعين هذه الدراسة بمنهج تحليل المحادثة (Conversation Analysis) الذي يرصد كل ما يدور في حوارات حقيقية مسجلة، ويشمل تلك الأحداث الصغيرة التي قد تكون مهملة في بعض المناهج التحليلية الأخرى، لكنها في منظور هذا المنهج لها أثر كبير في المحادثة، حيث تحدث ضمن نظام مطرد يمكن تتبعه ومعرفة آلياته.

الكلمات المفتاحية: تحليل الخطاب، تحليل المحادثة، ألفاظ مالئة، التأدب، الصمت.

Abstract

"Filler Words in Arabic Conversation: Are Not Meaningless as They Seem"

Traditional linguistic studies have not paid much attention to the so-called filler words which are viewed as meaningless, with no essential function or a pragmatic effect in communication. Several recent studies, however, have focused on such phenomena, attempting to explore their function. The present study discusses this issue in Arabic conversation, and presents positive purposes for using filler words, such as using them for politeness reasons in disfavoured answers, or keeping the conversation flowing to avoid awkward silence gaps. A Conversation analysis approach is used in this study, which focuses on examining everything in real recorded conversations, including small actions that may be overlooked in other analytical approaches, but are believed, in this approach, to actually have a significant impact on the conversation itself, as they occur within a constant system that can be observed.

Keywords: Discourse Analysis, Conversation Analysis, Filler Words, Politeness, Silence.

1. مقدمة

إن المتأمل في الدراسات العربية الحديثة سيلحظ أن الخطاب الشفهي العربي لم ينل اهتماماً كبيراً في التحليل والدراسة كما ناله الخطاب المكتوب. ربما يعود ذلك في جزء منه إلى تعقيدات هذا الخطاب، وصعوبة جمع مادته ونسخها ثم تحليلها مقارنةً بالخطاب الآخر، كما أن اهتمام بعض الباحثين العرب بمستويات لغوية محددة، كالمستوى الفصيح وتجاهل المستويات الأخرى التي تظهر عادة في الخطاب المحكي، جعل هذا الخطاب متوارياً عن الدراسة فترة من الزمن.

سيغطي هذا البحث جانباً صغيراً من قضايا الخطاب المحكي العربي، مستعيناً بالدراسات الأجنبية التي توسعت في تحليل المحادثات الشفهية والقضايا المرتبطة بها؛ إذ سيلقي الضوء على الألفاظ المالئة التي عادةً ما يُنظر إليها على أنها حشو أو زوائد لا قيمة لها في المحادثة. وكثيراً ما تُسقط هذه المالئات من المحادثات أو الحوارات حين تحوّل إلى نصوص مكتوبة، فتغيب عن تلك النصوص لأنها زائدة أو لا أثر لها، أو ربما بوصفها نقصاً أو أخطاء لدى المتحدثين. ستقدم الورقة أولاً بعض النتائج التي توصلت لها الدراسات الأجنبية في لغات أخرى حول هذه الظاهرة، وخاصة في اللغة الإنجليزية، ثم تقدم المادة العلمية العربية مع إبراز الوظائف الحوارية لاستعمالها ومقارنتها بما توصلت إليه تلك الدراسات الإنجليزية.

2. في المفهوم

ثمة عدد من المصطلحات المستعملة في الأبحاث التي ناقشت هذه المالئات، كمصطلح (Discourse Markers) أي العلامات الخطابية، و(Fillers) أو (Filled Pauses) التي تشير إلى الأصوات الشفهية المالئة. ولعل أشهر الأمثلة للمالئات في المحادثات الشفهية تلك التعبيرات القصيرة التي لا تحمل معاني مكتملة بذاتها، مثل: "I mean" و "you know" في الإنجليزية، وما يشابهها في العربية مثل استعمال "يعني" التي تنتشر أكثر في المحادثات الشفهية. وقد دُرست هذه التعبيرات في المحادثة الإنجليزية في عدد من الدراسات التي كشفت عن وظائف مهمة لحضورها. فقد تأتي جملة "I mean"، على سبيل المثال، تحضيرا لمرحلة انتقالية بين أجزاء الحديث (Clark, 1996)، أو قد تأتي للدلالة على أن المتحدث سيعدّل من الفكرة التي قدمها في أول الأمر (Fox Tree, 2007).

لكن الدراسات السابقة لم تقتصر على دراسة التركيبات أو الألفاظ في المحادثات الشفهية بل تجاوزت ذلك إلى الأصوات الصغيرة التي تحضر لتملأ الفراغ داخل الوحدة الواحدة. ففي الإنجليزية على سبيل المثال هناك أصوات قد يُنظر إليها في المحادثة على أنها تلعثم أو تردد في الحديث مثل: "uh" و "umm". وعلى الرغم من ضآلتها وصغر حجمها فإنها دُرست أيضاً لمعرفة الغرض من استعمالها داخل المحادثة. فتوصل بعض الباحثين إلى أن هذه الأصوات المالئة قد تأتي إشارة إلى أن المتحدث يحتاج إلى فترة من الوقت ليتأمل في الموضوع (FoxTree,2007)، أو أن المتحدث غير متأكد فيما سيعرضه لاحقاً (Brennan & Williams,1995)، أو ربما أيضاً ليمنع الطرف الآخر من أن يأخذ دوره في الحديث (بالتريدج، ٢٠١٨). وفي بحث اعتمد على مدونة صوتية ضخمة -وهي المدونة الوطنية البريطانية- وجد الباحث أن حضور هذه المالئات له ارتباط بالعمر والتعليم والجنس؛ فكبار السن، والرجال، وأصحاب التعليم الأعلى يستعملون هذه المالئات أكثر من غيرهم في الشق الآخر (Tottie, 2011).

على أن هناك فرقاً بين هذه الأصوات التي تأتي داخل الوحدة الواحدة في أثناء حديث الشخص الواحد وبين الأصوات التي تحضر في أثناء تبادل الأدوار مثل: "yeah, mm meh, uh huh" في المحادثة الإنجليزية، ويشار إليها كثيراً بمصطلح "Backchannels" (Tolins and Fox Tree, 2014, 2016; White, 1989). في حين أن شيقلوف (Schegloff, 1982) وكذا قودوين (Goodwin, 1986)، من مدرسة تحليل المحادثة يسميانها "Continuers' Actions"، وتسميها جيفرسون

(Jefferson, 1984) "Acknowledgment tokens"، ويسميها قاردنر "Response tokens" (Gardner, 2001). وهذه الأصوات مختلفة في غرض استعمالها عن الألفاظ المالئة، حيث تكمن وظيفتها في أن الطرف الآخر - في مكان انتقال الدور - يعرف أن المتحدث لديه ما يضيفه، فبدلاً من أن يأخذ دوره ، تراه بهذه الأصوات يمنح الفرصة للمتحدث لأن يستمر في حديثه. وهي استراتيجية مستعملة أيضاً في المحادثة العربية وذلك بتوظيف أصوات مشابهة لتلك الأصوات في أثناء تبادل الأدوار، مثل: (نعم، ايوه، اها، اممه) حيث تدفع المتحدث للاستمرار في حديثه وإضافة ما يريد أن يقوله.

ومن النتائج المرتبطة بهذه القضية أن كثرة الألفاظ المالئة التي تأتي داخل الوحدة الواحدة في المحادثة قد يحمل جانباً سلبياً. ففي دراسة حول أسئلة المذيعين ونظام الثنائيات المتلازمة في المقابلات الإعلامية العربية (Alfahad, 2013)، وجد الباحث نماذج لاستعمال المالئة "يعني" كثيراً في أثناء طرح السؤال على الضيوف، حيث استعمل أحد المذيعين تلك المفردة في سؤال واحد سبع عشرة مرة. تأمل المقطع القادم حين يقدم المذيع سؤاله لضيفه عضو مجلس الشورى حول نسبة تملُّك المنازل في السعودية، ليتضح مدى شيوع هذه المالئة في حديثه:

مثال ١، قناة الإخبارية، برنامج المجلس، 2010/2/19، المذيع: خالد العقيلي، الضيف: عبد المحسن الزكري

1 م: مهندس عبد المحسن يعني أتحدث عن نقطة مهمة يعني إحنا قبل شوي تكلمنا عن نسبة
2 أنت قلت إنه ممكن يعني مهيب دقيقة لما قلت لك إنه فيه إحصائية لإحدى الجرائد يعني
3 ذكرت إنه سبعة وخمسين بالمئة من المواطنين مستأجرين، لما تحدث أزمة أجار كثير من
4 المواطنين يعني يسأل نفسه ويتساءل إلى متى وأنا أبقى يعني في شقة مؤجرة أو بيت بالأجار
5 أو ما يسمونه عندنا بالعامية يعني الدم الفاسد الذي في النهاية بعض جهات التطوير
5 ربما أصبحت يعني يعني تقضي بما لو الأجار المنتهي بالتمليك بطريقة أو بأخرى،
7 أريد أن أتحدث يعني هالأزمة يعني أتحدث عن الرياض على وجه التحديد يعني ما فيه
8 بدائل تمويلية يعني تناسب فعلاً مثل هؤلاء يعني خليني أتحدث بكل واقعية حينما
9 نتحدث نتحدث عن الكل من يملك المال يعني واختلاف طبقاته من محدودية الدخل
10 لديه، أريد أن نتحدث يعني ما هي البدائل التمويلية التي بإمكان الكل يملك منزل
11 أو على أقل تقدير يملك شقة بدل أجار وما أجار خلال فترة قصيرة يعني

من الواضح أن "يعني" هنا قد بالغت في حضورها، إذ لا تكاد هذه المالئة أن تغيب عن سطر أو جملة وفي هذا الأمر جانب سلبي في توظيف هذه المالئة، فشيوعها في الكلام قد يشير إلى غموض الفكرة التي يريد إيصالها المذيع أو التردد في التعبير عنها، كما أشارت إلى ذلك بعض الدراسات التي لاحظت كثرة ظهور شبيهاتها في المحادثة الإنجليزية (Brennan & Williams, 1995).

وكما أظهرت الأسطر السابقة فإن هذه القضية حصلت على اهتمام كبير في اللغة الإنجليزية، مقابل اهتمام أقل في الدراسات اللغوية العربية الحديثة. استعرض العجمي (2003) مثلاً قوالب للعبارات المالئة تستعمل في المحادثات العربيةاليومية مثل: (مار)، و (عاد) التي تذكّر المستمع بأحداث متتابعة لها علاقة بالخطاب في اللهجة النجدية

(Kupershoek, 1993)، وبعض القوالب الأخرى المرتبطة باستراتيجيات التأدب (عفواً، عذراً لو تطفلت، حبيبنا، بيني وبينك)، وكذلك القوالب التي تقلل التزام المتكلم بمضمون الكلام (حسب المعطيات المتوفرة، إن لم تخني الذاكرة). وناقش أيضاً قوالب أخرى تداولية تأتي للتفاعل في الخطاب بحسب اللهجة، مثل: "واخد بالك؟" في اللهجة المصرية، "شايف كيف؟" في اللهجات الخليجية، "معناها" في اللهجات المغاربية، وجميعها تشجع المتلقي على التفاعل في المحادثة.

وقد ناقش الحجيلان (2006) اللازمة اللغوية الدينية في كلام السعوديين، وهي العبارات التي تلتصق بكلام الشخص وتصبح نمطاً متكرراً في كلامه اليومي، مبيناً كيف أنها كانت مرتبطة بطبقته الاجتماعية ومنطقته الجغرافية، مثل: "أنت توحي" لبادية نجد وشمالها، "شايف كيف؟" لمنطقة الجنوب، "يا بعد حيّي" لمنطقة حائل، أو بعض اللوازم الأخرى المرتبطة بعمر المتحدث أو جنسه. لكن التغيرات الفكرية التي طرأت في المجتمع في فترة لاحقة جعلت تلك اللوازم أكثر ارتباطاً بالعبارات الدينية مثل : "أخي في الله، جزاك الله خيراً، وفقك الله"، حيث انصهرت فيها المناطقية والطبقية وأصبحت ذات دلالة فكرية دينية مشتركة.

وكما يظهر، فإن هذه القوالب تحضر لوظيفة ظاهرة في المحادثة، في حين أن هذا البحث لن يركز على تلك القوالب التي لها غرض تواصلي واضح، بل سيناقش المالئات التي تبدو وكأنها حشو أو ألفاظ زائدة في المحادثة، مثل الألفاظ التي ترتبط بالتعثر في الكلام (آآآ) في المحادثة العربية، أو تكرار المفردة الواحدة مرات كثيرة. كما أن هذه الدراسة تعتمد على محادثات حقيقية تظهر فيها تلك المالئات، وهي نقطة جوهرية في المنهجية سيفصل فيها المبحث القادم.

3. منهج البحث وعينته

تعتمد هذه الدراسة منهج مدرسة تحليل المحادثة في أمرين: في الاعتماد أولاً على النتائج اللغوية الضخمة التي توصلت لها هذه المدرسة في تحليل المحادثة الإنجليزية، وذلك للاستعانة بها للوصول إلى فهم معمق للمحادثات المنطوقة باللغة العربية، كما أنها أيضاً تعتمد هذا المنهج في التعامل مع النصوص من حيث تسجيل المحادثات ثم نسخها وتقديمها للقارئ ليطلع عليها كما هي حاضرة في تلك التسجيلات.

ومن المهم التأكيد أن منهج مدرسة تحليل المحادثة في نقل الحوارات الشفهية إلى نصوص مكتوبة لا يعتني بنقل التفاعلات وما يتحدث به أطراف المحادثة من جمل وكلمات فقط، بل يستعين برموز تساعد على إظهار النص المكتوب للقارئ كأنه يستمع إلى تلك الحوارات. حيث تُظهِر هذه الرموز ارتفاع الصوت أو انخفاضه، ومكان وقوع المقاطعة والتداخل بين المتحدثين، ومدة الصمت بين المتحدثين أو داخل الوحدة الواحدة لدى أحد المتحدثين، وغيرها من الظواهر الأخرى. وقد وضعت جيفرسون (Jefferson, 2004) لجميع ما يجري في المحادثة رموزاً تسهّل فهم ما يجري في الحديث المسموع، فعلى سبيل المثال فإن هذا الرمز [:] يدل على امتداد الصوت داخل الكلمة، وكلما تكرر أكثر دل على امتداد أطول، فكتابة (جميل) بهذه الطريقة تدل على أن المتحدث قالها بطريقة طبيعية، في حين أن (جميـــل)، تدل أنه مد الصوت حين نطقها. كما أن هذا الرمز (-) يدل على إصلاح الكلمة (repair) داخل الكلمة، أي أن المتحدث أراد أن يقول كلمة ثم صحح نفسه وعدل عنها إلى كلمة أخرى (كيف محم- خالد؟). وحين يحضر هذا الرمز (=) في آخر وحدة لدى أحد المتحدثين وفي بداية وحدة المتحدث التالي فهي إشارة إلى أن انتقال الدور بين الطرفين حضر سريعاً أكثر من الانتقال المعتاد. كما أن هذا الرمز [يعني بداية تداخل الكلام أو تقاطعه بين المتحدثين، في حين أن] يشير إلى نهاية التداخل أو التقاطع.

وبالعموم فهي رموز كثيرة فصلت فيها جيفرسون لتساعد الباحث على نقل كل ما يجري في المحادثة الشفهية؛ لأن المدرسة تؤمن أن هذه الأحداث البسيطة التي قد يتغاضى عنها كثير ممن ينقلون الكلام المحكي إلى نص مكتوب لها في الواقع أهمية ودلالة في المحادثة، وتنضوي أيضاً تحت نظام يسير عليه المتحدثون، وليست عبثاً أو أخطاء لا قيمة لها؛ ولذا فهي تحتاج إلى رصد وإظهار .

إن منهجية تحليل المحادثة في الاعتماد على تسجيلات صوتية ثم نقلها كتابياً نقلاً صارماً تساعد الباحث على رصد جميع الظواهر اللغوية التي ينتجها المتحدثون، وتتيح له أن يعود إليها أكثر من مرة، وهي أيضاً تشرك القارئ في القدرة على الحكم على النتائج التي يتوصل إليها حين تُقدم النصوص مكتوبة كما هي في التسجيلات. في المثال السابق (مثال١) حول استعمال أحد المذيعين للفظة المالئة "يعني"، عرضت المقطع الصوتي على مجموعة من طلبة الدراسات العليا وطلبت منهم التركيز الشديد على سؤال المذيع الذي لم يتجاوز دقيقة من الزمن. ودون إخبارهم عن الظاهرة اللغوية التي يجب التركيز عليها، سألتهم بعد نهاية المقطع عن عدد المرات التي استعمل فيها المذيع تلك المالئة، فكانت إجاباتهم متفاوتة، لكنها جميعاً لم تصل إلى نصف المرات التي حضرت حقيقةً في المقطع الصوتي. وهذا يعني أن التسجيلات الصوتية هي أقوى أداة لتحليل المحادثات الشفهية؛ إذ يمكن من خلالها الرجوع إلى التسجيلات مرة أخرى والتأكد من ظهور الظواهر اللغوية وتواترها، بخلاف المناهج الأخرى التي تعتمد على الذاكرة أو تدوين الملحوظات أو استعمال الاستبانات على سبيل المثال.

والاعتماد على التسجيلات الحقيقية كذلك يستبعد الآراء الشخصية والانطباعات الذاتية (Heritage, 2011)، فالظواهر اللغوية في الأحاديث الشفهية ليست من الأمور الحاضرة في العقل الواعي والذهن الحاضر، كسؤال المتحدث مثلاً عن عدد اللغات التي يتقنها، أو عدد المرات التي سافر فيها إلى دولة ما، وهي معلومات تستطيع الاستبانات أن توفرها بكل سهولة. إن الأحاديث الشفهية وما يظهر فيها من استعمالات لغوية -على خلاف ما سبق- قد تغيب حتى عن ذلك الإنسان الذي أنتج النص نفسه، ولو سألنا المذيع مثلاً عن مدى تواتر تلك اللفظة المالئة وحضورها في سؤاله الذي أنتجه، فقد نحصل على إجابة قريبة من إجابات الطلبة، وكانت التسجيلات وما أنتجه المتحدث حقيقةً أمراً غير متوقع.

أما طبيعة الحوارات التي اعتمدت عليها هذه الدراسة فهي تسجيلات لحوارات حقيقية في الحياة اليومية، وحيث إن الهدف من هذه الدراسة هو رصد الكيفية التي يتحدث بها المشاركون في المحادثة ورصد ما يحدث فيها خطوة خطوة بعيداً عن مضمون الكلام ومحتواه، فإن النماذج التي اعتمد عليها البحث هي حوارات شفهية مع لاعبي كرة قدم سعوديين مذاعة ما بين عامي 2010 و2022، وهي حوارات تتناسب مع غرض البحث لكونها محادثة حقيقية طبيعية مسجلة يسهل الوصول إليها والتأكد من الاستعمالات اللغوية.

كما أن أحاديث اللاعبين في الغالب هي أحاديث عفوية أكثر من غيرهم ممن يظهر في المقابلات الإعلامية، فلاعبو كرة القدم ليسوا مثلا كالسياسيين الذين يتدربون على التواصل مع الآخرين، ويؤمنون أن الكلام عامل كبير في نجاحهم، وزيادة شعبيتهم، وكسب أصوات الجمهور. واللاعبون أيضاً ليسوا كالمتحدثين الرسميين في القطاعات الحكومية، حيث غالباً ما يُختار لهذه الوظيفة شخصٌ من ضمن عدد كبير من الموظفين في قطاعه الحكومي لتميزه في الحديث والتواصل، ثم أيضاً قد يخضع المتحدث الرسمي للتدريب والتطوير في التواصل، كما يؤكد ذلك مركز التواصل الحكومي التابع لوزارة الإعلام الذي حمل على عاتقه - منذ إنشائه عام 2018 - انتقاء المتحدثين الرسميين وترشيحهم للقطاعات الحكومية، ثم إخضاعهم لدورات تدريبية لتطوير مهاراتهم الشفهية التواصلية (واس، 2022، سبتمبر 5). أما لاعبو كرة القدم - في المقابل - فإن أحاديثهم الإعلامية بعد

المباراة هي أحاديث عرضية عفوية لا تجتهد مؤسساتهم التي ينتمون إليها في صناعتها وتطويرها للظهور الإعلامي مثل اجتهادها في تطوير جانبهم البدني، فهي أقرب إلى تمثيل أحاديث المجتمع اليومية الطبيعية التي يهدف البحث إلى استكشافها وتحليلها.

يناقش المبحث القادم أبرز الوظائف الحوارية لاستعمال تلك المالئات في المحادثات، مع توفير النصوص الأصلية التي ظهرت فيها تلك المالئات لتتبع ما يجري داخل المحادثة.

4. المناقشة

سيركز النقاش هنا على غرضين رئيسين لحضور تلك المالئات في سياق إيجابي، وسيكون الاهتمام أكثر بالجانب الكيفي مما سيسمح للدراسة بالتعمق في التحليل، وتتبع الأحداث الصغيرة داخل المحادثة، ومقارنة نتائجها بما رصدته الدراسات الإنجليزية. وهذان الغرضان هما: التأدب، وتدفق الكلام.

4.1 التأدب

من أكثر القضايا التي تناولتها الدراسات اللغوية مؤخراً في التواصل والحوارات الشفهية تلك القضايا المرتبطة بالتأدب واختلاف الشعوب في التعبير عنها لغوياً. والتأدب حقل كبير وقضية يطول الحديث فيها خاصةً إذا ما عرجنا على ما أنتجه براون وليفنسون (Brown & Levinson, 1987)، وما قدماه من قضايا متعلقة بالوجه الإيجابي والسلبي، بالإضافة إلى ما نشر بعدهما من دراسات عدة في ثقافات وسياقات مختلفة ناقشت ما توصلا إليه فاتفقت معهما أو اختلفت، لتقدم إسهامات ونتائج علمية مهمة في هذا الحقل. لكن هذا المبحث سيركز على القضية البحثية المطروقة هنا، وهي ظاهرة الألفاظ المالئة وعلاقتها بالتأدب داخل المحادثة العربية؛ ليُظهر أنها ليست من قبيل الحشو الزائد الذي لا يحمل أي وظيفة في المحادثة، بل قد يكون التأدب خلف حضور تلك الألفاظ.

ولعل البداية تبدأ بتوضيح مفهوم المباشرة وغير المباشرة في التواصل، إذ تشير دراسات التأدب الكلاسيكية إلى أن الأسئلة والطلبات والأحكام غير المباشرة مرتبطة بالتأدب. فحين يطلب شخص ما من آخر أن يغلق النافذة، مثلاً، فإن الصيغ غير المباشرة: "ممكن تغلق النافذة؟" "لو تغلق النافذة، الجو بارد هنا"، أكثر تأدباً من الطلب المباشر "أغلق النافذة!". وقد نازعت في ذلك بعض الدراسات التي قارنت بين عدة ثقافات، وتحديداً في جزئية ارتباط المباشرة بضعف التأدب، ورأت أن هذا الأمر ليس على إطلاقه. فقد وجدت بعض الدراسات التي قارنت الطلبات المباشرة في الثقافتين العربية والإنجليزية أن المباشرة في الطلب من شخص في ذات المستوى منتشرة أكثر في الثقافة العربية، وهو أمر لا يعني قلة التأدب، بل قد يشير إلى الشعور بالقرب والانتماء (Al-Marrani & Sazalie, 2010; Atawneh, 1991;Tawalbeh& Al-Oqaily, 2012,Alfahad, 2015; Alshammari, 2015). وكذا وجدت الدراسات التي قارنت الطلبات المباشرة في اللغة اليومية في الثقافتين الألمانية والتركية (Marti, 2006). وهذا يعني أن الطلبات غير المباشرة قد تكون أكثر تأدباً من الطلبات المباشرة، لكن بعض الثقافات لا تعامل الطلبات المباشرة لدى المتحدثين على أنها أقل تأدباً، بل قد تشير إلى أمور إيجابية أخرى في الثقافة كمحاولة التقرب وتقليص المسافة الاجتماعية.

أما دراسات تحليل المحادثة -في وصفها لصياغة الدور- فقد نظرت إلى تسلسل الثنائيات المتلازمة وقضية التفضيل (Adjacency Pairs, Preference) في المحادثة الإنجليزية (Schegloff, 2007; Heritage, 1984; Sacks, 1987) ، وركزت أكثر على ما يرتبط بهذا المصطلح من عملية تشكيل الجزء الأول للجزء الثاني من تلك الثنائية. فالمحادثة اليومية عادةً

تبدأ بثنائية التحية مع ردها وتنتهي بثنائية الوداع، وما بين افتتاح المحادثة وإغلاقها ثمة ثنائيات مستمرة طوال المحادثة مثل السؤال والجواب، والطلبات التي تنتظر القبول أو الرفض، والأحكام والتقييمات التي تبحث عن اتفاق أو اختلاف، وغيرها من الثنائيات التي فصلت دراسات تحليل المحادثة في حضورها ونظامها وترتيبها وحتى زمنها، وجميعها تدور حول إكمال الجزء الثاني لجزء سابق. وفي فترات قليلة قد تتوقف تلك الثنائية مؤقتاً عن استمرارها، وذلك في حالات مثل رواية القصص أو سرد الطرائف، فيهيمن حينها أحد الأطراف على المحادثة ويدعم الطرف الآخر استمرارية المحادثة بإنتاج ألفاظ وأصوات في مكان انتقال الدور.

هذا بالمجمل هو النظام العام للثنائيات المتلازمة في نظام المحادثة. أما ما يرتبط بجانب التأدب، فقد نظرت تلك الدراسات إلى الجز الثاني من تلك الثنائية، ووجدت أن هذا الجزء قد لا يأتي مباشرةً بعد الجزء الأول بل يتأخر أحياناً في الحضور. فالطلبات أو الدعوات التي تنتج في المحادثة، على سبيل المثال، تبحث عن جزء ثان يقبل تلك الدعوة/الطلب أو يرفضها، وحين تكون الدعوة موافقاً عليها فإنها غالباً ما تأتي مباشرة وسريعة، بخلاف الرفض الذي يأتي غالباً متأخراً وغير مباشر لأسباب تأدبية.

لنتأمل المثال القادم حين قدم المتحدث الأول دعوة إلى الطرف الآخر لزيارته وشرب الشاي، حيث نلحظ أن الطرف الآخر لم يوافق على هذه الدعوة، لكنه بدلاً من الرفض المباشر استعمل عدداً من الاستراتيجيات التي تؤخر هذا الرفض. فقد حضرت الألفاظ المالئة "آآآ" و "حسناً" و "ممم" و "و و"في السطرين الثاني والثالث وجميعها تأخر الرفض أو الإجابة غير المفضلة، كما أن الطرف الآخراستعان بالتبرير لتخفيف أثر هذا الرفض: "إنني أعمل على نشر إعلان في هذه الصحيفة، علي أن أبقى بجوار الهاتف".

مثال2 (Atkinson and Drew, 1979, p 58)

1 أ: إن أحببت أن تأتي لزيارتي قليلاً خلال هذا الصباح سأقدم لك كوباً من الشاي
2 ب: آآآ حسناً، هذا لطف كبير منك لكن لا أظن بإمكاني أن أفعلها هذا الصباح. آآآ ممم
3 إنني أعمل على نشر إعلان في هذه الصحيفة و و آآ علي أن أبقى بجوار الهاتف

وإذا ما نظرنا إلى المحادثة العربية في بيانات هذا البحث فإن الأمر لا يبتعد عن ذلك، فالموافقة على الطلبات غالباً ما تحضر مباشرة، في حين أن الرفض يأتي متأخراً. ولعل الأسطر القادمة توضح هذين البعدين من محادثات عربية مسجلة، والبداية مع المثال القادم الذي يوضح كيف حضرت الموافقة بعد الطلب الذي قدمه المراسل الإعلامي إلى حارس فريق الاتحاد مبروك زايد، حيث طلب "قفازاته" بعد المباراة:

مثال 3، قناة الرياضية السعودية، 2012/10/7، المراسل: عبدالرحمن الدحيم، الضيف: مبروك زايد
1 ض: .. أهم شيء يكون صادر عن القلم اللي يكتب فيه وبس
2 م: نتمنى له الشفاء العاجل كابتن، مع إنه مو وقته بس تسمح لنا بالدسوس فيه ناس طالبينها كثير=
3 ض: =تآمرني [ ]

4 م: [لك] الحرية كابتن
5 ض: تآمرني أمر والله
6 م: شكراً
7ض: الله يسلمك حبيبي
8 م: شكراً للخلوق كابتن مبروك زايد الحارس الجيد لنادي الاتحاد أشكره على هذي ...

فنلاحظ أن المراسل حين قدم طلبه في السطر الثاني (تسمح لنا بالدسوس فيه ناس طالبينها كثير)، جاءت الموافقة مباشرة وسريعة في السطر الثالث (تآمرني)، وأعادها مرة ثانية في السطر الخامس بعد تداخل كلامه مع كلام المراسل بعبارة (تآمرني أمر والله)، وهي عبارة تدل على الموافقة والترحيب بالطلب، فجاء الجزء الثاني للطلب بلا تأخر أو صمت أو تلعثم، وبلا توظيف للألفاظ المالئة وهي النقطة الجوهرية هنا. كما أن هذا الرمز (=) الحاضر في نهاية السطر الثاني ومطلع السطر الثالث يشير إلى أن الرد جاء سريعاً دون تأخر، والتداخل الحاضر في السطرين الثالث والرابع يشير أيضاً إلى الرغبة في الحديث وليس إلى الرغبة في الصمت أو التردد أو التأخر.

أما حين تكون الدعوة -في المقابل- مرفوضة، أو يكون الجزء الثاني غير محبب للطرف الأول، فإن صاحب الإجابة يميل إلى إيصالها بطريقة غير مباشرة، سواء باستعمال ألفاظ مالئة، أو بتأخير زمني، أو دمجها بتبرير يخفف ذلك الرفض. وهذا الأمر لا يتصل بالدعوات ورفضها فقط بل يشمل أيضاً كل جزء ثان غير محبب للطرف الآخر، فالأحكام التقييمية مثلاً التي تأتي غير متوقعة أو غير مفضلة للطرف الآخر هي موطن لظهور المالئات لتخفيف حدة تلك الأحكام (Pomerantz, 1984). وكل هذه الاستراتيجيات التي يمر بها الجزء الثاني الرافض للدعوة تندرج تحت نظرية التأدب والوجه (Goffman, 1955) التي تحاول أن توظف تلك الخطوات لحفظ ماء الوجه، أو لحماية الوجه مما يسميها براون وليفنسون (Brown & Levinson, 1987) "face-threatening acts" أي ما يهدد الوجه، فالألفاظ المالئة واحدة من تلك الاستراتيجية التي يستعملها المتحدثون في أحاديثهم لتخفيف ما قد يسبب حرجاً للطرف الآخر.

وقد نظرت رندل-شورت (Rendle-Short, 2015) إلى أمرٍ أبعد من ذلك حين قارنت إحصائياً الدعوات التي تُرسل عن طريق رسائل الجوال، مثل التواصل الكتابي عن طريق الواتساب في السياق العربي، فوجدت - بعد أن حللت 329 رسالة - أن الرد حين يكون سريعاً فهو في الغالب يتضمن الموافقة، وإذا تأخر الرد أكثر من دقيقة فالرفض يكثر في هذه الحالة. ووجدت كذلك أن المتوسط الزمني للردود التي تحمل الموافقة بالنظر إلى الوسيط الحسابي قد وصل بالدقيقة إلى (4.8)، في حين أن المتوسط الزمني للردود الرافضة وصل إلى (35) دقيقة. وعلى الرغم من أن دراستها ليست في المحادثات أو التفاعلات الشفهية، فإنها تدعم الفكرة ذاتها التي توصلت لها كثير من دراسات تحليل المحادثة في أن الرفض يتأخر ولا يكون سريعاً مثل القبول.

وإذا ما تأملنا المحادثة العربية فإن الأمر لا يختلف كثيراً عما أظهرته الدراسات الإنجليزية، إذ يميل الطرف الثاني إلى التأخر في تقديم الإجابة التي لا يفضلها الطرف الآخر وذلك بتوظيف عددٍ من الاستراتيجيات اللفظية. ولعل المثال القادم يوضح كيف وظف المتحدث تلك الاستراتيجيات حين لم يكن الرد الذي يبحث عنه المذيع أو ليس مفضلاً للطرف الآخر. لننظر كيف تعامل الضيف مع طلب الإعلامي في ذكر أسماء أشخاص كان الضيف يصفهم قبل هذا المقطع بأنهم يحاربون نجوم فريقه السابق:

مثال 4، قناة صحيفة الرياضية ، 2022/2/25، المذيع: ماجد التويجري، الضيف: خالد عزيز

1 ض: ... يوم اجتمعنا وتقربنا وتقربت وجهات النظر تأهلنا لنهائي كأس الملك ضد الأهلي

2 م: طيب خلك جريء وسمّي أنا أعرفك جريء

3 (٢)

4 م: يا الله طلعها

5 ض: ما أقدر ما أقدر أنا أعطيك أسامي لأني ام- آآآآ ولا ودي أظلم أحد بس إني أقول لك الكل

نجد هنا أن الإعلامي في السطر الثاني طلب من ضيفه أن يذكر أسماء هؤلاء الذين حاربوا اللاعبين (طيب خلك جريء وسمّي أنا أعرفك جريء)، وهي جملة مكتملة غرضها الطلب، كما أنها جزء أول ينتظر من الطرف الأخر أن يأتي بالجزء الثاني. لكن الضيف لم يلتقط الدور بل صمت لمدة ثانيتين (2)، مما جعل المذيع يعيد الطلب مرة أخرى بقوله: (يا الله طلعها). وهذا الصمت والتأخر هو إحدى الاستراتيجيات التي تشير إلى أن الجزء الثاني غير مفضل، وأن الإجابة لن تأتي كما يريدها الطرف الأول، وهو ما حدث في السطر الخامس حين قال: (ما أقدر ما أقدر)، مشفوعة بتبرير (ولا ودي أظلم أحد)، إضافة إلى المالئة (ام-)، و (آآآ). وكما جاءت الإشارة في مطلع هذا المبحث، فإن هذا الموضع هو الذي تظهر فيه الألفاظ المالئة لغرض تأدبي حيث يجعل الرفض مخففاً وليس مباشراً، فالضيف يستطيع أن يقول "لا لن أسميهم" وينهي دوره في إكمال الجزء الأول، لكنه فضّل استعمال الصمت والتأخر قبل الإجابة، ثم التبرير والألفاظ المالئة؛ لتخفيف هذا الرفض.

ولعل المثال القادم يوضح هذه القضية أكثر، فهو مثال مشابه تماماً لمثال (2) الذي وافق فيه الحارس على منح القفازات للمراسل، لكن اللاعب في المثال القادم رفض أن يمنح "فانيلته" حين طلبها المراسل، مستعملاً عدة استراتيجيات لإيصال الرفض بأسلوب تأدبي:

مثال 5، قناة الرياضية السعودية، 2022/2/22، المراسل: ماجد التويجري، الضيف: عبد الله الزوري

1 م: طيب أشوف اللاعبين وزعوا- تبادلوا الفنايل وكذا عطني فانيلتك يا أخوي

2 ض: هاه أعطيك فانيلتي؟ والله:: فيه واحد طالبها شكله طلع

فالمراسل بوضوح طلب من اللاعب في السطر الأول أن يمنحه فانيلته (عطني فانيلتك)، لكن هذا الطلب لم يوافق عليه اللاعب في السطر الثاني. وبدلاً من الرفض المباشر غير المفضل، فإن اللاعب وظف عدة استراتيجيات لتأخير الرفض وإيصاله بطريقة غير مباشرة: فهو أولاً استعمل (هاه) للإشارة إلى ضعف سماع الطلب أو مفاجأته به، ثم أعاد ذكر الطلب بصيغة السؤال (أعطيك فانيلتي؟)، وهو في الواقع ليس سؤالاً حقيقياً بل استراتيجية لتأخير الرفض، بدليل أنه لم ينتظر إجابة من الطرف الآخر على هذا التساؤل وإنما بادر إلى إكمال جوابه بعد ذلك. كما أنه أيضاً وظف المالئة (والله::) لتأخير الرفض وجعله غير مباشر، بالإضافة إلى ذكر تبرير الرفض (فيه واحد طالبها) دون ذكر الرفض مباشرةً.

وخلاصة الأمر أن اللاعب كان بإمكانه أن يرفض مباشرة (لا لن أعطيك الفانيلة) ويكتفي بهذا الرفض، لكنه وظف عدة استراتيجيات لتخفيف هذا الرفض تأدباً وحفظاً لماء الوجه، وقد كانت الألفاظ المالئة من ضمن تلك الاستراتيجيات التي

استعملها لذلك الغرض. وهذا يشير إلى أن الألفاظ المالئة ليست خطأً أو حشواً أو ضعفاً، بل قد يكون لها غرض إيجابي تداولي مرتبط بالتأدب واحترام الطرف الآخر كما وضحت ذلك الأمثلة السابقة.

كما أن نتائج هذا المبحث تتوافق مع نتائج الدراسات الإنجليزية التي درست نظام الثنائية في الطلبات ووجدت أن الرفض في الجزء الثاني في المحادثات اليومية لا يأتي مباشرة. وعلى الرغم من أن بعض الدراسات العربية التي نوقشت في أول هذا المبحث أشارت إلى أن المباشرة في الجزء الأول من ثنائية الطلبات أكثر انتشاراً في الثقافة العربية (أغلق النافذة، أعطني كذا)، فإن الجزء الثاني من ثنائية الطلبات متفق مع نظام المحادثة الإنجليزي. فالثقافة العربية، وكذا التركية، تميل إلى التسامح مع المباشرة في الجزء الأول وتفسره بالتقرب والانتماء وليس بقلة أو ضعف التأدب، لكن المباشرة في الرفض أو إيصال إجابة غير مفضلة ليس أمراً يتسامح به في المحادثة العربية اليومية فيؤخر هذا الرفض بألفاظ مالئة واستراتيجيات أخرى لأغراض تأدبية.

4.2 تدفق الحديث

لعل أوضح صفة تميز المحادثات الشفهية عن الخطابات المكتوبة أنها كلام عفوي طبيعي، لا فرصة معها للتأمل وإمعان النظر لفترة من الزمن قبل إنتاج الكلام، ولا مجال فيها عادةً للتوقف والصمت بين المتحدثين. كما أنها ليست كأنواع الخطابات الشفهية الأخرى، كالمحاضرات العلمية أو الخطب الوعظية التي غالباً ما يكون فيها الحديث معدّاً مسبقاً ومنظماً قبل إنتاجه. وقد ركزت مدرسة تحليل المحادثة كثيراً على نظام تبادل الأدوار في تلك المحادثات العفوية، فوجدت أن الأصل فيها غياب المقاطعات الحوارية، أو أن يتحدث عدة أشخاص في آنٍ واحد، كما أن المحادثة ذاتها تسير بسلاسة دون وجود صمت بين الجمل التي ينتجها المتحدث الواحد، أو بين المتحدثين حين يتناقلون الأدوار بينهم. يقول ساكس وآخرون (Sacks et al, 1974) إن المحادثة عادة ما تسير بحديث شخص واحد في الوقت الواحد، وإن انتقال الدور بين المتحدثين دون صمت أو تداخل هو الأمر الشائع.

ولهذا الأمر فإن المطّلع على النصوص المكتوبة بمنهج هذه المدرسة - ذات النظام الصارم في نسخ النصوص الشفهية - سيجد أنهم يضعون رموزاً رقمية تقيس طول الصمت بالثواني إذا ما حضر، فيضعون مثلاً (٠.٥) للإشارة إلى توقف دام نصف ثانية، أو يضعون أرقاماً كاملة بين قوسين إذا ما امتد الصمت لثواني أطول من ذلك؛ بل أكثر من ذلك، فإن نظام جيفرسون (٢٠٠٤) - المشار إليه في المنهجية سابقاً - يستعمل هذا الرمز (.) للإشارة إلى أن المتحدث توقف توقفاً يسيراً أقل من نصف الثانية لكنه أطول من المعتاد في انتقال الدور. وهذه العناية الكبيرة في رصد حضور الصمت تعني أن أصحاب هذه المنهجية يريدون إبرازه للقارئ، ومن ثم تحليله لمعرفة الغاية من حضوره، وفهم دلالات خروجه عن النظام الطبيعي للمحادثة التي تسير غالباً دون فجوات صامتة. وقد أشارت أيضاً جيفرسون (1979) في بحث آخر لها أنها وجدت أن أقصى مدة يعد الصمت فيها مقبولاً داخل المحادثة هي ثانية واحدة (انظر أيضاً Sacks,1992)، وما زاد على ذلك يقود إلى إشكالية وعدم ارتياح، مما يدفع المشاركين في المحادثة إلى الحديث وإنهاء الصمت.

كما أن دراسات علم النفس الاجتماعي حول ظهور الصمت داخل مجموعة المتحدثين تشير أيضاً إلى وجود إشكالية اجتماعية حين يتعثر الكلام ويحل الصمت بينهم، ففي إحدى الدراسات التجريبية(Koudenburg, Postmes, & Gordijn, 2011) وجد الباحثون أن تدفق الكلام وسلاسته بين المتحدثين له ارتباط وثيق بمشاعر الانتماء واحترام الذات والترابط الاجتماعي بينهم، وأن الصمت البسيط الذي يعطل هذا التدفق يحمل معه مشاعر سلبية لها ارتباط بغياب القبول الاجتماعي.

وإذا كان ظهور الصمت في الأحاديث يسبب إشكالية تواصلية اجتماعية، فإن ظهور الصمت بعد الجزء الأول من الثنائيات المتلازمة (Adjacency Pairs) أشد حرجاً وإرباكاً من ظهوره بعد اكتمال الجزئين؛ وذلك لأن الحرج الذي يأتي مع الصمت ليس موزعاً بين المتحدثين بل هو مرتبط بشخص واحد متوقع منه أن يلتزم بالنظام المحادثي في إكمال الجزء الثاني من تلك الثنائية. ولأجل ما سبق، فإننا نجد بعض المتحدثين يحاول جاهداً أن يتجنب إشكالية الصمت باستعمال لفظة مالئة في حديثه، مما يسهم في جعل المتحدث يأخذ وقته للتفكير فيما يستقبل من الكلام، ويجعل حديثه يتدفق دون تعثر أو صمت.

وإذا ما تأملنا المحادثة العربية، فإن هناك عدة ألفاظ تؤدي هذه الوظيفة، ولعل الأسطر القادمة تفصل في إحدى العبارات العربية التي تستعمل كثيراً بوصفها مالئة حين يكون الحديث عن موضوع مستقبلي وهي عبارة "إن شاء الله". غني عن القول إن هذه العبارة مستعملة بشكل واسع في المحادثة العربية، وهذا الانتشار يستند في الأساس على الحث الإسلامي لاستعمالها كما هو مذكور في القرآن الكريم. فقد أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم في سورة الكهف في الآيتين (23، 24) بأن يقرن مشيئة الله في الوعود التي يمضيها على نفسه مستقبلاً، فحين وعد النبي أهل مكة بأن يخبرهم في الغد عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وذي القرنين، تأخر الوحي خمسة عشر يوماً حتى نزلت الآيات التي فيها أمرٌ بذكر المشيئة (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلا أن يشاء الله، واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً) (ابن كثير، ت774هـ، ط1997، ص136). ومن ذلك الحين أصبح هذا التعبير من أكثر التعبيرات المستعملة في الأحاديث اليومية لدى المسلمين، المتحدثين بالعربية وغيرها.

وخلاصة القول إن الوظيفة الأساسية لعبارة "إن شاء الله" هي ألا يجزم المرء بأمور مستقبلية، وإنما يربط ذلك بمشيئة الله. هذا في أصلها، أما ما يستعمله الناس اليوم في المحادثة فهو متشعب أكثر من ذلك، إذ ظهرت استعمالات حديثة لم تكن حاضرة في أول الأمر. يشير مثلاً هوريزانو (Horezeanu, 2015) في دراسة مبسطة لم تعتمد على دراسات حقلية تجريبية، أو تحليلات معمقة لمحادثات طبيعية حقيقية، إلى أن "إن شاء الله" قد تأتي لأغراض متعددة في المحادثات داخل المجتمع السعودي مثل الوعد أو التحذير والتهديد، خلافاً للمعنى الحرفي الوظيفي لهذه الجملة. كما أن مهاوش وجرادات (Mehawesh & Jaradat, 2015) أيضاً حاولا أن يحصرا الأغراض التي تخرج عن الاستعمال الحرفي لهذه الجملة في المجتمع الأردني إلى أغراض جديدة في المحادثات، فوجدا عدة أغراض مختلفة مثل: السخرية، والتساؤل، والتمني، والتهديد، والمنع، وكذلك الموافقة أو الإيجاب. وفي دراسة أكثر عمقاً من الدراستين السابقتين بتوظيف منهجية تحليل المحادثة، جمعت كليفت وحيلاني (Clift & Helani, 2010) محادثات حقيقية مسجلة من المجتمع السوري ثم حللا تلك المادة العلمية لمعرفة النظام الذي تسير عليه المحادثة العربية، فوجدا أن جملة "إن شاء الله" تستعمل في تلك المحادثات لغرض إغلاق موضوع ما، ثم الانتقال إلى موضوع جديد.

ولعل ما سبق هو مجمل ما توصلت إليه الدراسات اللغوية لوظيفة هذه العبارة في المحادثة العربية، أما هذا البحث فيريد أن يضيف إلى تلك النتائج غرضاً جديداً، وهو أن "إن شاء الله" قد تستعمل كلفظة مالئة في المحادثة. فتخرج حينئذ من وظيفتها الأساسية التي من أجلها ظهرت في أول الأمر إلى غرض جديد وهو إعطاء المساحة للمتحدث أن يرتب ما يريد قوله دون توقف أو تعثر. فالمتحدث حينما يكرر الجملة أكثر من مرة في الوحدة الواحدة، مما يعني أن الهدف هنا ليس لربط ما يحدث في المستقبل بمشيئة الله فقط، وإلا لاكتفى المتحدث بذكرها مرة واحدة دون تكرارها، بل الأمر مرتبط أكثر بتدفق الكلام، وإعطاء المتحدث وقتاً أطول للتفكير بما سيعرضه في كلامه. تأمّلْ إجابة الضيف في الحوار القادم حين سأله المذيع عن مدى تأثير حضور المدرب الجديد للملعب ومشاهدته للاعبين:

مثال 6، MBC Pro، 20116/10/24، المذيع: فيصل الملوقي، الضيف: محمد البريك

1 م: أنك تلعب ومدربك الجديد متواجد على الدك- على- اليوم متواجد في المنصة متواجد

2 يشوف الفريق الهلالي يشوفكم كلاعبين عن قرب، الشيء هذا يعطيك حافز أنك تقدم؟

3 ض: بالعكس يعني إنا مجموعة واحدة آآآ مثل ما أنت شفت سيبيريا قدم عمل ممتاز وإن شاء الله

4 المدرب الجديد دياز إن شاء الله يعني آآآ نشوف العمل معه ونقدم أكثر إن شاء الله بإذن الله

من الواضح أن الضيف قد وظف عدة مالئات في حديثه مثل "آآآ" و "يعني" في السطر الثالث، لكن الملفت للنظر هنا أكثر أنه استعمل "إن شاء الله" ثلاث مرات بالإضافة إلى "بإذن الله" التي تحمل الدلالة ذاتها في هذه الإجابة القصيرة. وهذا يؤكد أن القضية هنا ليست لربط ما سيحدث في المستقبل بمشيئة الله كما هو الأصل في وظيفة العبارة، وإلا لما احتاج إلى تكرارها أربع مرات في إجابة واحدة قصيرة.

وسنلحظ هنا أن الضيف حين انتهى من التعبير عن الماضي وذلك بالثناء على عمل المدرب السابق في السطر الثالث بجملة "سيبيريا قدم عمل ممتاز"، وأراد أن يعبر عن المستقبل مع المدرب الجديد، اضطر لتوظيف "إن شاء الله" قبل ذكر اسم المدرب؛ وذلك لأخذ وقت أطول للتأمل في الفكرة التي سينتجها عنه، ثم كرر اللاعب المفردة مرة أخرى بعد ذكر اسم المدرب "إن شاء الله المدرب الجديد دياز إن شاء الله". وهذه المالئات تعطي اللاعبمساحة من الوقت للتأمل والتفكير فيما سيقوله عن المدرب.

كما يلاحظ أيضاً أنه بعد أن ذكر جميع هذه المالئات لم يصل إلى الفكرة التي يريد أن يعبر عنها فاضطر - بدلاً من الصمت - أن يستعين بمالئتين أخريين: "يعني" و "آآآ" في السطر الرابع، قبل أن يعبر أخيراً عن فكرته بقوله: "نشوف العمل معه ونقدم أكثر". وكل هذا العمل الطويل وملء الفراغ بعدة مالئات هو ببساطة لأجل الهروب من الصمت، وحتى لا ينقطع الكلام دون تقديم فكرة أو إظهار التزام بالإجابة عن تساؤل المذيع، وانقطاع الكلام أو غياب الجزء الثاني في الثنائيات المتلازمة هو أمر غير متوقع في النظام الطبيعي للمحادثة.

ولنأخذ مثالاً آخر يوضح كيف تمنح هذه اللفظة المالئة وقتاً للمرء ليجيب على تساؤل ما، بدلاً من الصمت والتفكير. ففي المثال القادم سأل المراسل ضيفه سؤالين: الأول: عن التأثير الإيجابي لفوزهم بهذه البطولة على مباراتهم القادمة، والثاني:لمن يهدي هذه البطولة. حيث نجد أن الضيف في إجابته عن السؤال الأول حين أراد أن يتحدث عن المستقبل وظّف "إن شاء الله" ليخبرأن لديهم غداً تمريناًوأنهم سيتوقفون عن الاحتفالات ويفكرون بالمباراة القادمة. وهي إجابة بسيطة لكنه اضطر لتكرار "إن شاء الله" عدة مرات لتمنحه الوقت للتفكير فيما سيعبر عنه.

أما إجابة السؤال الثاني (لمن يهدي هذه البطولة؟) فقد بدأ الضيف بتوظيف الألفاظ المالئة مباشرة، وإجابة هذا التساؤل لا تحمل في طياتها إجابة مفضلة أو غير مفضلة للسائل، ولكن الإجابة عنها تتضمن ذكر أشخاص وإغفال آخرين، وكذا ترتيب من سيضمّنهم في تلك الإجابة، وكل هذا يحتاج إلى تأمل وتفكير مما دفعه إلى توظيف عدد من الألفاظ المالئة قبل الوصول إلى الإجابة:

مثال 7، قناة الرياضية السعودية، 2012/2/10، المراسل: عبدالرحمن الدحيم، الضيف: سعد الحارثي

1 م: أخيراً حتى لا ننسى تأثير هذه البطولة الإيجابي على مباراتكم القادمة مع الاتحاد في الدوري منعطف مهم.

2 ض: أكيد إنا عندنا بكرة إن شاء الله تمرين إن شاء الله بإذن الله آآآآ وآآآ انتهاءً من الليلة عرفت واحتفالنا

3 بالبطولة حنبدأ نفكر إن شاء الله بالمباراة القادمة

4 م: في حياتك الخاصة لمن تهدي هذه البطولة كابتن؟

5 ض: والله::: شوف آآآ أهديها لكل كل كل يعني زملائي اللاعبين أكيد يعني أولاً ولكن أهديها

6 يعني لوالدي ووالدتي وإخواني ...

من الواضح أن المتحدث في إجابته للسؤال الأول استعمل "إن شاء الله" ثلاث مرات، و"بإذن الله" مرة واحدة في السطر الثاني والثالث، بالإضافة إلى "آآآ" مرتين في السطر الثاني؛ وجميع هذه المالئات أعطته مساحة ليتأمل في ما يريد أن يقوله، بدلاً من الصمت وانقطاع الكلام.

أما الإجابة الثانية في السطر الخامس فقد بدأها بثلاثة ألفاظ مالئة: "والله:::" مع مدها في الأخير، وكذلك مفردة "شوف"، ثم المد الصوتي"آآآ". وبعد ذكر كل هذه المالئات والتأخير في الإجابة فإن المتحدث حين وصل إلى "أهديها لكل" لم يحسم قراره بعد، مما جعله يضطر إلى تكرار "كل" أربع مرات في السطر الخامس مع الاستعانة بـ"يعني"، قبل أن تأتي الإجابة التي أرادها: "زملائي اللاعبين".

وهذا يشير ببساطة إلى أن المحادثة الشفهية العفوية تحتاج أحياناً إلى التفكير والتأمل قبل الحديث، ولا يستطيع المتحدث أن يصمت عدة ثواني يرتب خلالها إجابته قبل إيصالها إلى الطرف الآخر، مما يجعل الخيار المتاح له هو تلك الألفاظ المالئة التي تساعده في الابتعاد عن الصمت، وتشعر السائل أن المتحدث ملتزم بإكمال الجزء الثاني الذي يبحث عنه السائل ولكن بشيء من المماطلة للتأمل والتفكير.

على أن تكرار المفردات التي تملأ الفراغ وتجعل المتحدث يأخذ وقتاً أطول دون الوقوع في حبال الصمت ليس مقتصراً على عبارة "إن شاء الله"، أو المد الصوتي "آآآ". إذ يميل بعض المتحدثين إلى تكرار مفردة واحدة في حديثه فتلتصق به أكثر من غيره، وتصبح من اللوازم اللغوية التي يستعملها كلما أحتاج إليها، مثل "صراحة" أو "طبعاً". تأمل المثال القادم حين أشاد المذيع باللاعب وتطوره مؤخراً ثم سأله عن أسباب ذلك، إذ سنلحظ هنا أن الضيف كرر عدة مفردات في هذه الإجابة القصيرة، حيث كرر كل عبارة من هذه العبارات الآتية: "الحمد لله" و "يعني" و "صراحة" أربع مرات:

مثال 8، قناة الرياضية السعودية، 2018/5/29، المذيع: خالد العرافة، الضيف: سالم الدوسري

1 ض: والله الحمد لله هذا من فضل الله ودعوات الوالدين صراحة قبل كل شيء يعني الحمد لله

2 تطورت عقلياً وتطورت يعني بدنياً الحمد لله يعني اللاعب إذا بغى يطور نفسه بيعرف

3 كيف صراحة داخلياً أول شيء يبدأ بنفسه وفي حياته صراحة والحمد لله هذا اللي يعني

4 قاعد ينعكس داخل الملعب صراحة.

وهذا التكرار قد يصح أن ينطبق عليه ما عرضه هذا البحث في مدخله، حيث إن المبالغة في التكرار قد تحمل جانباً سلبياً، كضعف التعبير عن الفكرة أو ضعف الجزم بها، إلا أنها في المقابل تمنح المتحدث فرصة لأن يتجاوز إشكالية الصمت في الحديث وهي إشكالية أكبر من تكرار المفردات، حيث تجعل المتحدث يأخذ وقتاً أطول للتفكير والتأمل فيما سينتجه من كلمات وأفكار لاحقة. ولو أراد المتحدث أن يربط كلامه بالصراحة حرفياً على سبيل المثال، فإن ذكرها مرة واحدة سيوصل الفكرة للمتلقي، دون الحاجة إلى تكرارها في كل جملة، فخرجت المفردة من معناها الحرفي لتصبح لفظة مالئة لها وظيفة مختلفة في المحادثة.

وخلاصة القول إن الحوار الطبيعي لا يُتوقع معه أن يكون الكلام فيه معداً مسبقاً، ولا يُتوقع من الطرف الآخر ألا يكمل الجزء الثاني من الثنائيات المتلازمة، ولا أن يطلب وقتاً ليصمت فيه ويرتب إجابته قبل إيصالها. ولذا فإن الألفاظ المالئة تحضر هنا لوظيفة تداولية إيجابية تمنح المتحدث الوقت الذي يحتاجه للتأمل في الكلام وترتيبه والتعبير عنه، وتساعده أيضاً في إظهار التزامه بإكمال الجزء الأول من تلك الثنائية المتلازمة، بالإضافة إلى الهروب من إشكالية الصمت الذي قد يحمل معه إشكالية سلبية حين يحضر في أثناء تبادل الأدوار داخل المحادثة.

5.خاتمة

لعل أكثر ما يلفت النظر بعد هذا النقاش المفصل لمحادثات عربية هو أن الألفاظ المالئة في المحادثة ليست حشواً زائداً لا قيمة له في المحادثة على الإطلاق، أو أمراً يجدر بالمتحدث أن يتخلص منه في حديثه. ولكن على خلاف ذلك، فقد أوضحت هذه الدراسة أن حضورها في المحادثة العفوية الطبيعية له وظيفة تواصلية مهمة، وقد ركزت الدراسة على إظهار غرضين تواصليين وذلك بالاعتماد على محادثات عربية حقيقية. فأما الغرض الأول فهو التأدب، وهو أن المتحدث حين يريد أن يقدم جواباً غير محبب للطرف الآخر فإن له أن يستعمل عدة استراتيجيات تخفف هذا الجواب، ومن ضمن تلك الاستراتيجيات المخففة هي استعمال الألفاظ المالئة. وأما الغرض الثاني فهو مرتبط بتدفق الحديث والابتعاد عن إشكالية الصمت، إذ تساعد هذه المالئاتُ المتحدثَ في أن يأخذ وقتاً أطول لما يريد أن يقوله دون الحاجة إلى الانقطاع عن الحديث.

لقد حاولت هذه الدراسة أن تعيد الاعتبار لهذه الألفاظ المالئة من خلال التركيز على حضورها الإيجابي داخل المحادثة العربية، وهي أيضاً تفتح الباب لمزيد من البحث والتقصي للوصول إلى أغراض أكثر مما وجدته هذه الدراسة، فالألفاظ المالئة في الواقع حقل جديد يحتاج إلى عينات أخرى ودراسات موسعة. كما أن هذه الدراسة تشجع على الاعتماد على محادثات عفوية حقيقية للاقتراب أكثر إلى ما يفعله المتحدثون حقيقةً لا ما يتوقعه الناس من محادثاتهم، وهذا ما سارت عليه هذه الدراسة في تقديم مادتها العلمية، بعيداً عن الادعاءات أو الافتراضات الشخصية.

المراجع العربية

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ، ط1997). *تفسير القرآن العظيم*. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

الحجيلان، ناصر بن صالح. (2006) اللازمة اللغوية/ الدينية في كلام السعوديين: أنماطها ووظائفها الثقافية. *مجلة الخطاب الثقافي*،*1*، 96-140.

العجمي، فالح بن شبيب (2003). *اللغة والسحر*. مطابع الشرق الأوسط، الرياض

بالتريدج، براين (2018). *تحليل الخطاب*. (ترجمة عبدالرحمن عبدالله الفهد). مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض.

واس، (2022، سبتمبر 5). العواد: مركز التواصل الحكومي يؤدي أدواراً محورية في تطوير أداء المتحدثين، صحيفة الرياض:
http://www.alriyadh.com/1658438

المراجع الأجنبية

Alfahad, A. (2013). *A conversation analysis of aggressiveness and deference in Arabic news interviews*. PhD thesis, Leeds University, Leeds, UK.

Alfahad, A. (2015). Aggressiveness and deference in Arabic broadcast interviews. *Journal of Pragmatics, 88*, 58-72. https://doi.org/10.1016/j.pragma.2015.08.009

Al-Marrani, Y. & Sazalie, A. (2010). Polite Request Strategies by Male Speakers of Yemeni Arabic in Male-Male Interaction and Male-Female Interaction. *The International Journal of Language Society and Culture 30*: 63- 80. https://aaref.com.au/wp-content/uploads/2018/05/30-6.pdf

Alshammari, K (2015). Directness and Indirectness of Speech Acts in Requests among American Native English Speakers and Saudi Native Speakers of Arabic. *English Literature and Language Review, 1*, 63-69. https://www.arpgweb.com/pdf-files/ellr1(8)63-69.pdf

Atawneh, A. (1991). *Politeness Theory and the Directive Speech Act in Arabic-English Bilinguals: An empirical study*, PhD thesis, State University of New York at Stony Brook.

Atkinson, J. & Drew. P. (1979). *Order in Court: The Organisation of Verbal Interaction in Judicial Settings*. London, Macmillan

Brennan, S., & Williams, M. (1995). The feeling of another's knowing: Prosody and filledpauses as cues to listeners about the metacognitive states of speakers. *Journal of Memoryand Language,34*(3), 383-398. https://doi.org/10.1006/jmla.1995.1017

Brown, P., & Levinson, S. (1987). *Politeness: Some universals in language usage.* Cambridge, England: Cambridge University Press.

Clark, H. (1996). *Using Language*, Cambridge: Cambridge University Press. https://doi.org/10.1017/CBO9780511620539

Clift, R., &Helani, F. (2010). Inshallah: Religious invocations in Arabic topic transition. *Language in Society*, *39*, 357-382. https://psycnet.apa.org/doi/10.1017/S0047404510000199

Fox Tree, J. (2007). Folk notions of um and uh, like, and you know. *Text and Talk*, *27*, 297-314. https://doi.org/10.1515/TEXT.2007.012

Gardner, R. (2001). *When Listeners Talk.* Amsterdam: John Benjamins.

Goffman, E. (1955). On Face-Work: An analysis of ritual elements in social interaction, *Psychiatry, Journal of Interpersonal Relations,18*, 213–231.

https://doi.org/10.1080/00332747.1955.11023008
Goodwin, C. (1986). Between and within: Alternative Sequential Treatments of Continuers and Assessments. *Human Studies, 9*, 205–217. http://www.jstor.org/stable/20008967
Heritage, J. (1984). *Garfinkel and ethnomethodology.* Cambridge, U.K. Polity Press.
Heritage, J. (2011). Conversation analysis: Practices and methods. In: Silverman, D. (ed.) *Qualitative research: Theory, method and practice*. 3rd ed. (208–230). London, Sage.
Horezeanu, M. (2015). You Want to Hear the Magic Word? Inshallah. *British and American Studies,21*, 193-204. https://litere.uvt.ro/publicatii/BAS/pdf/no/bas_2015_articles/23_193-204.pdf
Jefferson, G. (2004). Glossary of transcript symbols with an introduction. In: Lerner, G. (ed.) *Conversation Analysis: Studies from the First Generation*. (13–34). Amsterdam / Philadelphia, John Benjamin's Publishing.
Jefferson, G. (1989). Preliminary notes on a possible metric which provides for a "standard maximum" silence of approximately one second in conversation. In Roger, D. & Bull, P. (Eds.), *Conversation: An interdisciplinary perspective* (166–196). Clevedon: Multilingual Matters.
Jefferson, G. (1984). Notes on a systematic deployment of the acknowledgement tokens "yeah"; and "mm hm*". Paper in. Linguistics*. 17, 197–216. https://doi.org/10.1080/08351818409389201
Koudenburg, N., Postmes, T., &Gordijn, E. H. (2011). Disrupting the flow: How brief silences in group conversations affect social needs. *Journal of Experimental Social Psychology*. 47, 512-515. https://doi.org/10.1016/j.jesp.2010.12.006
Kupershoek, M. (1993). Between ad-Dakhul and Afif: Oral Traditions of the Utaybah Tribe in Central Najd. *Zeitschrift fur ArabischeLinguistik26*, 28-65. https://www.jstor.org/stable/43525614
Marti, L. (2006). Indirectness and politeness in Turkish-German bilingual and Turkish monolingual requests. *Journal of Pragmatics 38,* 1836–1869. https://doi.org/10.1016/j.pragma.2005.05.009
Mehawesh, M. &Jaradat, A. (2015). Insha'Allah: Extensive flouting of Grice's Maxim of Quality*AsianSocial Science,11*, 319-327. http://dx.doi.org/10.5539/ass.v11n4p319
Pomerantz, A. (1984). Agreeing and disagreeing with assessments: some features of preferred/dispreferred turn shapes, In Maxwell Atkinson, John Heritage, (Eds), *Structures of Social Action: Studies in Conversation Analysis.* (57-101). Cambridge, U.K., Cambridge University Press.
Rendle-Short, J. (2015). Dispreferred responses when texting: Delaying that 'no' response. *Discourse and communication*, *9*, 643-661. https://doi.org/10.1177%2F1750481315600309
Sacks, H. (1987). On the preferences for agreement and contiguity in sequences in conversation, chapter 2. In G. Button & J. R. E. Lee (Eds.), *Talk and social organization*. (54-69). Clevedon, U.K. Multilingual Matters.
Sacks, H., Schegloff, E. & Jefferson, G. (1974). A simplest systematics for the organization of turn-taking for conversation. *Language*, *50*, 696-735. https://doi.org/10.2307/412243
Sacks, H. (1992). Turn-taking; collaborative utterances via appendor questions: Instructions; directed utterances. In Gail Jefferson (ed.), *Lectures on conversation*,Volume 1, 523–534. Oxford, UK, Blackwell.

Schegloff, E. (1982). Discourse as an interactional achievement: Some uses of" uh-huh" and other things that come between sentences. In: Tannen, D. (ed.) *Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics, Analyzing discourse: Text and talk*. (71–93).Washington, DC, Georgetown University Press.

Schegloff, E. A. (2007). *Sequence Organization in Interaction: A Primer in Conversation Analysis* (Vol. 1). Cambridge, U.K. Cambridge University Press.

Tawalbeh, A. Al-Oqaily, E. (2012). In-directness and Politeness in American English and Saudi Arabic Requests: A Cross-Cultural Comparison. *Asian Social Science, 8,* 85-98. http://dx.doi.org/10.5539/ass.v8n10p85

Tolins, J., and Fox Tree, J. E. (2014). Addressee backchannels steer narrative development. *Journal of Pragmatics*. *70,* 152–164 https://doi.org/10.1016/j.pragma.2014.06.006

Tolins, J., and Fox Tree, J. E. (2016). Overhearers use addressee backchannels in dialog comprehension. *Cognitive Science. 40*, 1412–1434 https://doi.org/10.1111/cogs.12278

Tottie, G. (2011). Uh and um as sociolinguistic markers in British English. *International Journal of Corpus Linguistics.16*, 173– 197. https://doi.org/10.1075/ijcl.16.2.02tot

White, S. (1989). Backchannels across cultures: a study of Americans and Japanese. *Language in Society. 18,* 59–76. https://doi.org/10.1017/S0047404500013270

بيانات الباحث

عبدالرحمن عبدالله الفهد، أستاذ مشارك في تحليل الخطاب في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة الملك سعود. حاصل على درجة الدكتوراه في تحليل الخطاب من جامعة ليدز عام 2013م. تدور اهتماماته البحثية حول اللسانيات الاجتماعية، وتحليل المحادثة، والخطاب الإعلامي، والتداولية.

AUTHOR BIODATA

Abdulrahman Alfahad is an Associate Professor of Discourse Analysis in the Department of Arabic, College of Humanities and Social Sciences, King Saud University. Dr .Alfahad obtained his PhD degree in Discourse Analysis(2013) from Leeds University. His research interests include Sociolinguistics, Conversation Analysis, Media Discourse and Pragmatics.

معرف أوركيد(**ORCID**):0000-0002-9075-4601

Email: **abalfahad@ksu.edu.sa**